التطاول الغربي على
الثوابت الإسلامية

التطاول الغربي

على الثوابت الإسلامية

رؤية مستقبلية

تأليف

د. محمد يسري

رئيس مركز البحوث وتطوير المناهج

بالجامعة الأمريكية المفتوحة

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى / 1428هـ - 2007م

رقم الإيداع

2007/5768م

رقم الإيداع الدولي

977-430-049-1

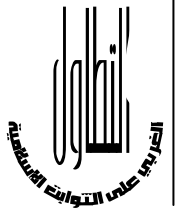

20 ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، امتداد مصطفى النحاس، مدينة نصر، القاهرة.

تليفاكس:(6709269).

محمول: (0101621671)، (0103569208)

البريدالإلكتروني:

mohamed_yousri@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى خير دين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهتدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن لله تعالى في خلقه سننًا تمضي لا تزول ولا تحول، وله جل وعلا في خلقه شرائع ثابتة، وأحكام ماضية، لا يعتريها نسخ ولا تبديل.

فمن سننه تعالى في كونه: ذلك التمايز والاختلاف في عوالم مخلوقاته في الألسنة والألوان، والثقافات والحضارات، والمناهج والأديان، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ**﴾ [الروم: 22]، قال سبحانه: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[التغابن: 2].

وقال جل في علاه: ﴿**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾[هود: 118-119].

وقال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: 48].

ومن السنن الماضية في خاصته من خلقه: المعاداة بين حزبه المفلحين والملأ المجرمين، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾[الأنعام: 112].

ولما كان محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين كانت دعوته للعالمين، ورسالته للثقلين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال ﷺ: **"وبعثت إلى الخَلْقِ كَافَّة"**[1].

ومن أجل هذه العالمية التي تتجاوز حدود المكان وتستغرق الزمان؛ كانت هنالك عالمية أخرى متجددة على مستوى الصراع والتحديات.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب قول النبي | "جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا" (427)، وأطرافه (328، 2954)، وهذا لفظه، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (521).

وكان لنبينا ﷺ النصيبُ الأوفى من عداوة المجرمين وأوليائهم من المخالفين.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

ولم يكن عداؤهم عن جهل بحقه وقدره الشريف، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: 146].

وهي معرفة حقيقية مستمدة من عقيدته وشريعته وأخلاقه وحربه وسلمه ﷺ، كما هي مستمدة من كتبهم التي أنزلت عليهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[الأعراف: 157].

وإذا جاز أن من عامتهم من لا يعرفونه ولم يطالعوا سيرته، فلا يجوز بحال أن يكون أكابر أهل مللهم لا يعرفون كريم سجاياه، وعظيم أخلاقه ﷺ!

ومنذ فجر التاريخ الإسلامي والسهام تُصوَّب إلى نبي الإسلام ورسالته، ومحكمات عقيدته وشريعته، وخلافته ورمز دولته، تبذل في هذا السبيل الجهود الهائلة، وتنفق الأموال الطائلة، وتجرد الحملات الصليبية الثمانية، عبر قرنين من الزمان (489-690هـ)، تؤازرها الموجة التترية الوثنية العاتية -بدعوة صليبية

حاقدة-، وتتبعها هجمة بربرية على الحضارة الإسلامية الأندلسية؛ فحقبة استعمارية انتقصت الوطن الإسلامي من أطرافه الآسيوية، ثم أردفت بحملة فرنسية (1213هـ-1798م) إلى قلب الوطن الإسلامي والمنطقة العربية.

وتميز التحدي الاستعماري الغربي الحديث في هذه المرة بغزو فكري صاحَب احتلال البلاد ونَهْبَ الثروات، ثم آل الأمر بعد الحرب العالمية الثانية (1364هـ-1945م) إلى غزوة غربية حديثة تجلب بِخَيْلِها ورَجْلِها، وتقتل بِقَضِّها وقَضِيضِها، وتغري بغواية التغريب للعقل، والاحتلال الفكري للشرق بتبعيةٍ في الثقافة، بل وتنصيرٍ في الدين، ويقدم هذا مغلفًا بغلاف من العولمة لتبرر وتكرس هيمنة الغرب المستعمر على العالم بأسره.

ثم إن التاريخ يشهد أن تلك التحديات الصليبية والموجات الاستعمارية قد تكسرت على أرض الإسلام، حتى تحول الشرق المسلم إلى مقبرةٍ لموجات وإمبراطوريات الغزاة الغربيين.

والمسلمون اليوم يقفون في وجه حملةٍ غربيةٍ عالميةٍ، تهتك كلَّ حرمة، وتحارب كل فضيلة، تقدم الإسلام لشعوبها على أنه الخطر المقبل الذي سيهلك الحرث والنسل، ويدمر منجزات الحضارة الحديثة ويغرق البشرية في طوفان من الدماء والأشلاء.

وفي سبيل هذه المواجهة تستباح ما تفتقت عنه قريحة الشيطان من بغيٍ وإجرام، وتنتهك حرمة رسل الله عامة، وحرمة

نبينا ﷺ خاصة، وتتناقل أحاديث الإفك الظالم وأخبار البهتان الظاهر، وتروَّج مقالات الحقد الصليبي الصهيوني الأعمى.

ولقد شهدت السنوات القليلة الماضية هجمةً متنامية على شخص النبي ﷺ، تجسَّدت في نشر رسوم دانمركية مسيئة، تبع ذلك تجاوب نرويجي ففرنسي فسويدي فأسباني فأرجنتيني، وتوقف القطار المندفع في الفاتيكان ليدلي كبير أهل ملتهم بدلوه في الإساءة والتهجم، ثم تعود الدانمرك مؤخرًا لتبث شريط فيديو مصور فيه إساءةٌ جديدة للنبي ﷺ.

ولا شك أن الأمة بمختلف فئاتها قد هبت لنصرة النبي ﷺ، وعبرت عن غيرتها على حرمته ﷺ بأشكال متعددة، ولقد ظن كثيرون أن المسالة حادثٌ فردي عابرٌ يستوجب استنكارًا لتهدأ الأمور وتعود إلى نصابها من جديد، إلا أن شيئًا من هذا لم يكن !!

الأمر الذي يستوجب وقفة متأنية مع هذه المستجدات ومحاولة فهمها وتجميع عناصرها السابقة والمعاصرة، وربطها في محاولة لإدراك الظاهرة حتى يجري التفاعل والتعامل معًا بشكل صحيح.

وبناءً على ذلك، فإن هذا البحث يهدف إلى رد العدوان عن ثوابت الإسلام ومقوماته، والذود عن جناب نبينا ﷺ والدفاع عن حرماته، وذلك عن طريق العرض السريع لأهداف الحرب على الإسلام وغاياتها، واستجلاء صورة الإسلام في التراث والمناهج الغربية عمومًا، وصورة النبي ﷺ

على وجه الخصوص، وأسباب الخطأ في عرضها، وتحديد الجهات التي تقود هذه الحرب.

ومن ثم استشراف المستقبل ورصد إيجابياته، والعمل على تلافي سلبياته، ثم طرح مشروعات عملية مقترحة للتصدي لتلك المخططات المدمرة للعلاقات الإنسانية، والصلات البشرية الطبيعية، كما تهدف هذه المقترحات العملية لتوسيع رقعة الاعتدال عند الغربيين، وذلك عن طريق قراءة الإسلام قراءة صحيحة، وتمكين المسلمين من العيش والتعايش الحر الكريم مع الآخرين.

قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: 34].

وبناءً على ما سبق قد تقسمت هذه الرسالة إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: صورة الإسلام في الفكر الغربي قديمًا وحديثًا.

المبحث الثاني: موقف مناهج التعليم الغربية من الإسلام.

المبحث الثالث: صورة النبي ﷺ في التراث الغربي.

المبحث الرابع: أسباب التطاول على دين الإسلام وخير الأنام ﷺ.

المبحث الخامس: استشراف المستقبل.

المبحث السادس: ما العمل؟

المبحث الأول: صورة الإسلام في الفكر الغربي بين القديم والحديث

يذهب كثير من الباحثين إلى أن تاريخ العداء يبدأ من العصور الوسطى الأوروبية، إلا أن هذه الفرضية تدحضها وقائع كثيرة، بل وتصريحات عديدة لغربيين.

يقول الكاتب والقائد الإنجليزي "جلوب" (1897م-1986م): **"إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد"**[1].

أي إلى تاريخ ظهور الإسلام وبزوغ فجره على المعمورة؛ حيث أزال النور الإسلامي ظلمات عشرة قرون تطاول فيها الغرب الإغريقي والروماني والنصراني على الشرق، فاحتل أرضه ونهب ثروته وقهر ثقافته، فكان الفتح الإسلامي تحريرًا للإنسان من الفتنة في الدين، وتحررًا للأوطان من ذلك العدوان.

ولقد رأى الغرب في هذه الديانة الوليدة عدوا عقائديًّا وحضاريًّا، يقدِّم محبة الله تعالى على محبة الإنسان، ويجعل التوحيد فكرة يتمحور حولها الإنسان، وذلك في مقابلة فكرة تقديس

(1) مقال بجريدة الشرق الأوسط، لجمال شاهين، عدد (9913) في 18 ذي الحجة 1426هـ، نقلاً عن كتاب للكاتبة بعنوان "محمد".

الإنسان وعبادته، والتي قامت عليها أديانهم المحرفة، فلم تكن قضية الإسلام منازعة على ثروات أو منافسة على زعامات.

عمل الغربيون من قديم وبمختلف فئاتهم على اعتبار الإسلام عدوًّا أيديولوجيًّا وحضاريًّا يجب القضاء عليه، يشرح هذه الفكرة المفكر الغربي "مونتغمري وات" قائلاً: إن **"الإسلام من وجهة نظر المسيحية الغربية يتسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة، لقد ظهر في أوائل القرن السابع للميلاد في محيط تميز بتأثره الروحي بالتقاليد اليهودية -المسيحية، مؤكدا من ناحية، وعبر التوحيدية الإبراهيمية صلته المبدئية بتلك التقاليد الشرقية اليهودية- المسيحية؛ ولكنه وضع نفسه من ناحية أخرى في خندق مضاد متعارض تمامًا مع التقاليد الدينية المذكورة.**

فمن خلال تعميم مطلق غير محدود للتوحيد، ألغى الإسلام في حقيقة الأمر أي إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية، مع نفي تام لفكرة الثالوث المسيحية، وبذلك التوجه العقائدي حطم الإسلام النظام البنيوي - اللاهوتي، الذي كان مهيمنًا في التصورات المسيحية - لاسيما في العصر الوسيط -حول التكوين الإلهي للتاريخ، وحول التقديس، وتجسيد الإله ذاته. وهكذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية

والمسيحية نوعًا من التحدي الديني – التاريخي[1].

وتقول د.كارين آرمسترونج: "**علينا أن نتذكر أن الاتجاه العدائي ضد الإسلام في الغرب هو جزء من منظومة القيم الغربية، التي بدأت في التشكل مع عصر النهضة والحملات الصليبية، وهي بداية استعادة الغرب لذاته الخاصة مرة أخري. والقرن الحادي عشر كان بداية لأوروبا الجديدة، وكانت الحملات الصليبية بمثابة أول رد فعل جماعي تقوم به أوروبا الجديدة**"[2].

وهنا يتعين التنبيه إلى أن تصور البعض اليوم أن خوف الغرب من الإسلام إنما باعثه ظاهرة "العنف" أو "التشدد" عند بعض الجماعات الإسلامية – هو تصور لا يخلو من سذاجة أو سطحية.

ولا شك أن موقف العداء متجذر لدى مؤسسات الغرب قبل عصر اليقظة الإسلامية بقرون متطاولة.

فمارتن لوثر (1483م-1546م) زعيم الإصلاح الديني، ورأس الكنيسة البروتستانتية، وهو الذي قرأ ترجمة معاني القرآن وما ذكر فيه عن التوراة والإنجيل من التعظيم والتبجيل.

ثم يقول لوثر متحدثًا بعد ذلك عن القرآن الكريم: "**أي**

(1) تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطي، مونتغمرى وات، موسكو، 1976م، (ص10:8).

(2) مقال لجمال شاهين، بجريدة الشرق الأوسط.

كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن، المليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع".

ولم تكن الكاثوليكية بأحسن حالاً من البروتستانتية في صناعة هذه الأكاذيب.

إن هذه الصورة لا يشترك في رسمها دهاقنة النصرانية أو ساسة أوروبا وقادتها فحسب، بل يشاركهم فيها أدباؤهم ومثقفوهم وفنّانوهم.

لقد ذهبت "ملحمة رولاند" (1100م) إلى إسقاط التثليث على المسلمين وعقيدة التوحيد، فتزعم أن المسلمين يعبدون ثالوثًا وثنيًّا، وأنهم إنما يعظمون يوم الجمعة، لأنه يوم إلهة الحب فينوس، بينما يعظم النصارى يوم الأحد؛ لأنه يوم الله!

كل هذا الشحن المزيف للحقيقة حتى يلتهب حماس عوامهم بالحقد على أهل الإسلام لتقام المجازر والمذابح باسم الله.

ففي هذه "الملحمة ينادي الإمبراطور جنوده كي يذبحوا المسلمين، فيقول: انظروا إلى هذا الشعب الملعون إنه شعب ملحد، لا علاقة له بالله، سوف يمحى اسمهم من فوق الأرض الزاخرة بالحياة، لأنهم يعبدون الأصنام، لا يمكن أن يكون لهم خلاص، لقد

حكم عليهم، فلنبدأ إذن تنفيذ الحكم، باسم الله" ثم تبدأ المذبحة[1].

تلك باختصار صورة الإسلام القديمة كما عبر عنها ساسة وقادة ورهبان وفنانون، فهل تغيرت تلك الصورة في العصر الحديث ؟!

لعل في أنشودة الجندي الإيطالي لأمه جوابًا حين يقول لها: **أماه.. أتمي صلاتك.. لا تبكي، بل اضحكي وتأملي، أنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا، سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، سأحاسب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن**[2].

وكتبت جريدة فرنسية عام 1926م تقول: "**لقد استسلم عبد الكريم الخطابي من غير شروط، وخضع لحماية فرنسا، ذلك ما كنا نبغي، فالحادث مهم، فهو يضرب الإسلام في الصميم، وبوسعنا الآن أن نفتك بهذا الدين الفتك الذريع**"[3].

ولإنسانٍ أن يقارن بين هذا الكلام وبين كلام الأب أربان الثاني مفجر الحروب الصليبية في مجمع "كلير مونت"

---

(1) صورة الإسلام في التراث الغربي، هوبرت هيركومر، وجيرنوت روتر، ترجمة ثابت عيد، وتقديم د/ محمد عمارة، (ص18، 21، 23، 24، 43)، طبعة دار نهضة مصر، القاهرة 1999م.

(2) القومية والغزو الأمريكي لمحمد جلال كشك، نقلا عن "الرسول | في عيون غربية منصفة"، الحسيني معدّى دار الكتاب العربي، ط1، 2006، (ص57).

(3) **(28 / 5 1926), da acpechede constasntine**.

عام 1095م حين يقول:" أيها الجنود المسيحيون.. اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الأشرار، اذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء أولئك المسلمين الكفار"[1].

وتتبين الإجابة مجددًا من قول "أيوحين روستو" رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام 1967م حيث قال: **"يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب؛ بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدمًا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطي،** وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي..، فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم

(1) الحروب الصليبية، د/ سيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.

الغربي والدولة الصهيونية...[1].

وفي أعقاب حرب رمضان 1393هـ أكتوبر 1973م أجرت صحيفة "لفيجارو" الفرنسية استفتاء للرأي العام الفرنسي فأسفر الاستفتاء عن أن 45٪ مع إسرائيل مؤيدون لها، و 17٪ يؤيدون العرب، و8٪ مع الطرفين، و30٪ لا رأي لهم، وأجرى المعهد الوطني استفتاءً للرأي العام في لندن فأسفر على أن 47.5٪ من البريطانيين الذين شملهم الاستفتاء يؤيدون إسرائيل في مقابل 5٪ يؤيدون الدول العربية، وأجرى معهد" جالوب" الأمريكي استفتاء للرأي عن النزاع في الشرق الأوسط يوم 6 أكتوبر فأسفر عن أن 47٪ من الأمريكيين يؤيدون إسرائيل في مقابل 6٪ فقط يؤيدون الدول العربية [2].

وأرجعت بعض الجهات هذه النتائج إلى ما تفعله الدعاية الصهيونية في الرأي العام في العالم الغربي ومدى عمق جذورها فيه.. إلا أن هذا ليس راجعا إلى الدعاية الصهيونية وحدها، بل إن ما تفعله هذه الدعاية هو تنشيط للرواسب القديمة التي خلفتها الحروب الصليبية من بغض وكراهية للمسلمين، تلك

(1) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، مكتبة الصحابة، (ص31).
(2) الإسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز، ترجمة د/ محمد شامة، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة، (ص4).

الأحقاد التي لا تزال وستظل منطلق التخطيط للعالم الغربي في علاقاته بالعالم الإسلامي في مختلف المجالات.

والمفكر الاستراتيجي الأمريكي -الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون- يذكر -في كتابه "الفرصة السانحة" "**أن العداء للمسلمين هو الأمر الأكثر شيوعًا، والأسوأ صورة لدى جمهور الأمريكيين**"، "**فكثير من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين، ويعتقدون أن سيوف محمد وأتباعه هي السبب في انتشار الدين الإسلامي في آسيا وأفريقيا، وحتى أوروبا.. ولذلك فإن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء.. وليس هناك صورة أسوأ في ذهن وضمير المواطن الأمريكي من صورة العالم الإسلامي**"، "**ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام والغرب متضادان.. وأن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة.. وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة،.. وأنهم يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي**"[1].

(1) الفرصة السانحة، لريتشارد نيكسون، ترجمة أحمد صدقي مراد، طبعة القاهرة 1992م، (ص28، 138، 141، 152، 153).

وإذا كان ريتشارد نيكسون قد أعلن "أنه ليست هناك صورة في ذهن وضمير المواطن الأمريكي أسوأ من صورة العالم الإسلامي". فإن "صناعة هذه الصورة" -في الثقافة الغربية والضمير الغربي- سابقة على قيام إسرائيل.. وحقبة النفط.. وحركات الجهاد الإسلامي بلا شك .. يقول د. محمد عمارة: فـ "الشهادات الألمانية" تحدثنا عن أن "الإفرنج منذ الحروب الصليبية -أي قبل نحو ألف عام- كانوا يطلقون على العرب والمسلمين صفات الجنس الحيواني الحقير... والكلاب والخنازير" !!.. وهي الصفات التي لا تزال شائعة في صحافة الغرب المعاصر، وفي أفلام هوليوود! [1].

كما أن تنامي الأصولية الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي أصبحت تشكل جماعات ضغط سياسي لها الدور الفعال في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية؛ يمثل بقية أجزاء الصورة القبيحة لصور التطاول في العصر الحديث، فهذه العقيدة الأصولية الإنجيلية يؤمن بها تسعة من رؤساء أمريكا

(1) في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق الدولية، القاهرة 2003م، (ص140).

وعاشرهم الرئيس الأمريكي بوش الابن [1].

واعتقاد [2] هؤلاء الإنجيليين يفسر للمسلمين وللعالم كله

---

(1) كتاب البعد الديني للرئيس الأمريكي بتصرف

(2) تعتبر هذه العقيدة امتداداً لحركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر التي بدأت كاحتجاج على البابا الكاثوليكي ورفضت توسط رجال الكهنوت بينهم وبين الله ودعت إلى التطبيق الحرفي للكتاب المقدس وتفسيره دون الرجوع إلى رجال الدين، وبسبب ما تعرضت له هذه الطائفة البروتستانتية من حروب طائفية بينها وبين الكاثوليك اضطر البروتستانت إلى الهجرة إلى العالم الجديد فتدفقوا على أمريكا بمجرد اكتشافها وصاروا أكثر سكانها وتأسس بذلك المجتمع الأمريكي على أساس بروتستانتي توراتي وتبنى جميع العقائد التوراتية والأساطير المحرفة التي تتحدث عن نبوءات تتعلق بالأرض المقدسة وبالوعد المزعوم الذي بموجبه استحق اليهود الصهاينة استرجاع الأرض الموعودة من الفرات إلى النيل (فهم يعتبرون أرض كنعان كلها موعودة للساميين) علما بأن العرب الفلسطينيين من الساميين من بني إسماعيل عليه السلام.

تقول التوراة المحرفة في سفر التكوين (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخويه .. وقال مبارك الرب إله سام وقال ليكن كنعان عبداً لهم يفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم) أ.هـ. ثم يستند إلى الإصحاح 12 (ظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض) ويقول (قال الرب لإبرام إذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأهلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ويكون نسلك كتراب الأرض ويمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض) الإصحاح 28 من التوراة متعامين عن انطباق هذه المواصفات على العرب المسلمين فهم من الساميين من بني إسماعيل وهم أكثر من المليار والربع كتراب الأرض وموزعون في جميع أنحاء العالم.

ويعتنق الأصوليون المسيحيون العقيدة الألفية التي تتحدث عن النزول الثاني للمسيح وأنه لابد من الإعداد والتمهيد لهذا النزول بحشد وتجميع اليهود في فلسطين وإعانتهم بالمال والسلاح لخوض معركة هرمجيدون التي يزعمون انتصار اليهود والنصارى على الوثنيين (أي المسلمون بزعمهم) وذلك بأن يرتفع النصارى فوق السحاب وأما المسلمون فسيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت (رؤيا يوحنا اللاهوتي بالعهد الجديد).

الموقف غير الأخلاقي لسياسة الولايات المتحدة المنحازة والتي تكيل بمكيالين. فعلاقتهم بالدولة الصهيونية وكما يقول كارتر في كتابه علاقة متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي.

كما يفسر أيضاً هذا الاعتقاد المنحرف الموقف المضاد الذي تتخذه الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية وبالأخص تجاه بيت المقدس الذي يتعرض للتعديات الصهيونية والحفريات المزعومة بهدف هدمه لإقامة الهيكل المزعوم وفقاً لتصوراتهم الصهيومسيحية المشتركة.

وقد تزايد تحكم هذه الحركة الأصولية الإنجيلية في جميع سياسات الإدارة الأمريكية وبالأخص في العقدين الأخيرين بحيث صارت منطلقاً ودافعاً لتطاول الغرب بقيادة الولايات المتحدة على كثير من حرمات وثوابت الدين الإسلامي الحنيف، مستغلة النفوذ الإقتصادي والعسكري والسياسي في فرض ما تراه من مخططات وأهداف على دول العالم الإسلامي دون اعتبار لسيادتها على أوطانها ومقدراتها !!

وهذه الحكومة الإنجيلية المحافظة الحاكمة في الولايات المتحدة لم تكن في حاجة إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر

لإلصاق دعوى الإرهاب بجميع المنظمات والجمعيات والدول الإسلامية، وكل ما هنالك أن هذه الأحداث عجلت من تفعيل ثوابت عقائدية ودينية متلازمة لدى هؤلاء الأصوليين الجدد، يقول القس (فرانكلين جراهام): (إن الإسلام دين شرير سيء جداً) ويقول: (إن الإرهاب جزء لا يتجزأ من تعاليم الإسلام)[1].

وقد بلغ الاستكبار الأمريكي الأصولي في التدخل في ثقافات الدول العربية والإسلامية حتى أنه طبع ونشر ما يسمى بالفرقان الأمريكي في بعض الدول العربية (بعدما حذف جميع الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود والنصارى والجهاد في سبيل الله)!!

وفي مجال التطاول على الرموز والثوابت أيدت الأصولية المسيحية في أمريكا ما قام به أهل الدانمرك من تطاول على الرسول ﷺ، وتناولت بعض الفضائيات ما قام به أحد زعاماتهم من تمويل لرسام الكاريكاتير الملعون!!

أما موقفهم من أولى القبلتين وثالث الحرمين المسجد الأقصى المبارك فكما سبق وذكرنا فهم يؤيدون ويهللون لكل الممارسات المعتدية على كيان المسجد بزعم انسجام ذلك مع

(1) انظر صحيفة الزيتونة الأمريكية في 30 أغسطس 2002.

معتقدهم الخاص بهرمجيدون الذي لابد أن يسبقه هدم المسجد الأقصى المبارك وبناء الهيكل المزعوم.

وبخصوص المظاهر الأخرى للعداء الصهيومسيحي للإسلام وثوابته والمتعلق بالجانب السياسي والعسكري، فقد كان للحركة الأصولية المسيحية الدور الأعظم في التأثير على القرار السياسي الأمريكي وما نتج عنه من قرارات عدوانية اتخذتها الإدارة الأمريكية على مدى السنوات الأخيرة!

ولأن الحديث عن ذلك له مجالات أخرى فنكتفي بالقول إجمالاً أن الحركة الأصولية المسيحية كانت وراء ما حاق بالإسلام والمسلمين من نوازل و مآسي كغزو بلدين مسلمين هما العراق وأفغانستان والبطش بملايين المسلمين من شعبيهما، وما نتج عن سياسات أمريكا المنحازة للكيان الصهيوني، وما تبعها من حصار خانق لحكومة حماس الإسلامية وللشعب الفلسطيني.

وهكذا فعداء المشروع الغربي للإسلام هو موقف معلن من كثيرين في دوائر ومؤسسات صنع القرار، وليس وهمًا صنعته "ذهنية المؤامرة"؛ إنما يمثل مشكلة أسبق وأعمق من الوقائع الطارئة والآنية التي أثمرتها حركات النهضة الإسلامية المعاصرة، أو بعض نظم

الاستبداد الحاكمة، أو بعض الحركات الجهادية هنا أو هناك.

ولا يمنع وجود هذا التوجه العام من رصد شيء من التوجه الإيجابي في موقف الكنيسة أو موقف عدد من الأفراد؛ فمن ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية ناقشت في مجمعها الفاتيكاني الثاني (1962م- 1965م) العلاقة بين الكنيسة والأديان غير المسيحية ثم أصدرت بيانًا إيجابيًّا جاء فيه:

"إن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار أيضًا إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، الذين (أي المسلمين) يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله غير المعلنة، كما خضع له إبراهيم، الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي، إنهم يجلون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون أمه مريم العذراء؛ بل إنهم بتقوى يتضرعون إليها أحيانًا!!. علاوة على ذلك فإنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضًا، ويؤدون العبادة لله لا سيما بالصلاة والزكاة والصوم، وإذا كانت قد نشأت على مر القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين

والمسلمين، فالمجتمع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معًا العدالة الاجتماعية والخيارات الأخلاقية، والسلام والحرية، لفائدة الناس جميعًا"[1].

ولكن الأمر لم يدم طويلاً؛ ففي أكبر وأخطر مؤتمرات الكنائس الغربية -الذي انعقد في كولورادو بأمريكا سنة 1978م- قد أرجع هذا العداء الغربي المحموم للإسلام إلى ما رآه وأسماه بـ "الطبيعة الإسلامية المناقضة للنصرانية" كما فهمتها الكنائس الغربية. فقالت مقررات هذا المؤتمر: **"إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وإن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًّا وسياسيًّا.. إنه حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر.. ولا بد من مئات المراكز التي تؤسس حول العالم بواسطة النصارى؛ للتركيز على الإسلام لفهمه، والتعامل معه، واختراقه في صدقٍ ودهاء"**[2].

(1) الإسلام والمسيحيين، د. اليسكي جورافيسكي، سلسلة أعلام المعرفة (215)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 1996، (ص117).
(2) المصدر السابق.

ثم ها هو البابا الكاثوليكي بينديكت السادس عشر ينسحب من هذه المواقف إلى مواقع متراجعة فيغير ما أسموه بلجنة "حوار الأديان" إلى لجنة "حوار الثقافات.. "، الأمر الذي يعد انقلابًا على نتائج المجمع الفاتيكاني التي تضمنت اعترافًا بالديانات الإبراهيمية[1].

وبالمثل فكما رصدت تصريحات وكلمات إيجابية حول الإسلام من عشرات المثقفين والأكاديميين والسياسيين الغربيين؛ إلا أن الصوت الأعلى والكثرة الكاثرة لغير المنصفين!!

(1) لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام، د.باسم خفاجي (ص49).

المبحث الثاني

موقف مناهج التعليم الغربية من الإسلام

إن البحث في صورة الإسلام في المناهج التعليمية في بلاد أوروبا وأمريكا أو ما اصطلح على تسميته بالغرب ترجع أهميته إلى معرفة تلك المرتكزات والمداخل التي يتناولون من خلالها الإسلام.

1- إذ إن معرفة ماذا يقولون؟ وكيف يقولون؟ ولماذا يقولون؟ وكيف يؤثر ما يقولون بطريق مباشر أو غير مباشر في عملية صنع القرار السياسي أو الثقافي أو العسكري تجاه الإسلام وأهله من الأهمية بمكان.

2- كما أن نخبة من أساتذة الدراسات في الجامعات الغربية تعدهم الحكومات الغربية بمثابة خبراء ومراجع في شأن الإسلام، وتطلب منهم تقديم الشهادات والتوصيات عن ذلك الشأن للمسئولين، ويقومون بالفعل بتقديم تلك الشهادات والتوصيات، ولكنَّ علمَ الكثيرين وممن يسمون بخبراء الظاهرة الإسلامية علم منقوص ومشكوك فيه، ومعارف أكثرهم تحتاج إلى أن تُوازن بوجهة النظر الإسلامية، حتى تقترب من الصواب

وتعطي إفادات وشهادات لا تضر بالمسلمين ولا بمصالح الدول الغربية.

3- كما تؤثر الكيفية التي تتم بها دراسة الإسلام في المدارس والجامعات أيضًا بنحو أو بآخر في قطاعات من الرأي العام الغربي، وتؤثر بالتالي في علاقة الغربيين بالمسلمين على صعيد العالم الإسلامي وعلى مستوى الجاليات المسلمة في الغرب.

4- ومن ناحية أخرى تفيد دراسة "الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة" في تحديد ما يمكن أن يفعله الخبراء والعلماء وصناع القرار في العالم الإسلامي لمساعدة الغربيين على دراسة الإسلام دراسة علمية نزيهة وعميقة وذات جدوى، بحيث تؤدي دورًا إيجابيًّا في إطار حوار الحضارات، وتحسين العلاقات المتوترة بين الكثير من دول العالم الإسلامي والعالم الغربي[1].

وقبل تدوين أية ملاحظات حول مسألة عرض الإسلام في المناهج الغربية تجدر الإشارة إلى أن هذه المناهج قد تأثرت وبشكل مباشر بما خلفته الحركة الاستشراقية من

(1) الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د. محمد وقيع الله، ط1، 2006م (ص 25-26).

تراث، والذي يمتد إلى قرابة قرنين من الزمان، وخلَّف نحوًا من 60.000 كتاب عن الشرق المسلم[1].

ولا ريب أن أصدق مفهوم للاستشراق هو العلم في خدمة السياسة والاستعمار، وهدفه إذابة الشخصية الإسلامية، وتغيير ما بنفس المسلمين من إيمان بالإسلام ومُثُلِه، ونظمِهِ ولغتِهِ وحضارتِهِ، والتنكر لكل هذا، وقطع الصلة بين المسلم وبين دينه وربه ونبيه[2].

وحركة التنصير هي صنو حركة الاستشراق في تشويه صورة الإسلام، فقد كان المنصرون روادًا في مهنة التعليم في الغرب، حيث كانت المدارس في أوروبا تقام في الكنائس، وفي أمريكا تولى مهمة التعليم الآباء المنصرون الفارون بدينهم من الاضطهاد الذي لقوه بأوروبا، وقد كان في طليعة أهدافهم تشويه مواد الدراسات الإسلامية، حتى يقطعوا الطريق على الإسلام، وكان عليهم أن يصوروا العقيدة الإسلامية بصورة منكرة حتى يبذل مواطنوهم أقصى جهد لتنصير المسلمين

(1) **Orientalism and the west: An attack on learned ignorange Time. april 16.1969, p54.**

(2) الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، طبع المختار الإسلامي، القاهرة 1411هـ، (ص 21).

وإنقاذهم من هذا الدين الوثني كما يصورونه لهم[1].

وفيما يلي عدد من الملاحظات حول موقف المناهج الدراسية في الغرب من الإسلام:

-في دراسة علمية أعدها كل من "سوزان دوغلاس" و"روس دون" بعنوان "**تفسير الإسلام في المدارس الأمريكية**" استعرض الباحثان محتويات ستة كتب تعليمية تعرضت للإسلام ودُرست للطلاب من الصف السادس إلى الثاني عشر.

وقد أشارت الدراسة إلى أن الطالب فيما سبق كان يتخرج من الدراسة الجامعية لا يعرف شيئًا عن الإسلام، إلا أن تحسنًا طرأ في هذا الاتجاه بعد تغير في الدستور الأمريكي سنة 1988م الذي سمح بتدريس الأديان كافة في المناهج التعليمية، فنال الإسلام حظًّا من ذلك الاهتمام.

ولكن الذي ورد في هذه المناهج الدراسية يثير عجبًا حيث قيل: إن الإسلام نسخة معدلة عن الديانتين اليهودية والنصرانية، وقطعت الصلة بين الإسلام والمسلمين من جهة، وبين إبراهيم عليه السلام من جهة أخرى، ثم حملت هذه الكتب على

(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د.عمر فروخ، المكتبة القصرية، صيدا، 1977م، (ص 39-45).

انتشار الإسلام على أساس كونه لم ينتشر إلا بالسيف! وأنه يضطهد غير المسلمين، ويصادر حقوق المرأة، وفي نفس الوقت لا تذكر تلك المناهج عن حضارة الإسلام شيئًا!!

وقد علق الباحثان على أن هذه الكتب حين تنصف الإسلام فإنها تكتفي بذكر حقائق جافة ولا تعطيها التفسير الصحيح اللائق، حتى إنها تصور عبادات المسلمين على أنها جزء من بقايا الوثنية، وهو ما يتطابق مع كلام المستشرقين القدماء[1].

وفي دراسة أعدها د. مايكل سليمان أستاذ العلوم السياسية بجامعة "كنساس" بأمريكا بعنوان تأثير المقررات الدراسية في الثانوية على تكوين المخيلة الأمريكية لشعوب الشرق الأوسط، ومن خلال استطلاع إحصائي لآراء الأساتذة والطلاب في المدارس الثانوية في ست ولايات أمريكية، انتهى الباحث إلى أن هذه الشريحة يعبرون عن آراء تعميمية سلبيةٍ عدائيةٍ عن الإسلام والمسلمين، وقلما يعبرون عن آراء إيجابية.

وقد نقل في دراسته قول بعضهم في تعريفهم للإسلام: "**إنه دين زائف**"، أو "**إنه الإيمان الذي يعوق التفكير الخلاق**"،

(1) **Susan L. Duglass, and Rosse. Dunn "Interpreting Islam in American Schools" The Annual of American academy of political and social sciences, p. 588. July 2003 p.62.**

أو "**إنه الدين الذي يسبب تخلفًا في نمو نهضة أتباعه**".

أما تصور الطلاب للمسلمين فهو أنهم "**قوم يحبون الحروب بطبيعتهم**"، أو "**قوم متدينون مخدوعون من رجال الدين**"، أو "**أنهم أصحاب الدين العجيب غريب الأطوار**".

وكثير من أولئك يربطون بين الإسلام والحروب الصليبية، ومنهم من يربط بينه وبين تنظيمات الأمريكان السود في أمريكا من أتباع "إليجا محمد"، ظانين أنهم يمثلون الإسلام الحق.

وكما أشارت الدراسة إلى أن عددًا من الأساتذة كان يحمل انطباعًا جيدًا عن الإسلام وأهله، إلا أن إلمامهم بالإسلام ليس كافيًا.

وفي دراسات حديثة عن المناهج الدراسية في المراحل الابتدائية إلى الثانوية في أمريكا، ظهر بوضوح أن تحسنًا كبيرًا قد طرأ على مناهج الدراسات التاريخية، وأن تصحيحات كثيرة قد طرأت على المناهج بما يتفق مع عدد من الحقائق، مع حرصٍ على توخي الدقة واللياقة قدر الإمكان.

وفي دراسات أخرى عنيت بالمناهج الدراسية الأوروبية في ذات المراحل، ظهر أن المناهج في انجلترا تميل إلى تجاهل المسلمين وتبخيس معطياتهم الحضارية، وأن تحسنًا ملحوظًا قد بدا في

المناهج الفرنسية، في حين أن المناهج الدراسية الألمانية لا تزال مشبعة بنزعة عدائية شديدة تجاه الإسلام وأهله، بتأثير التراث الاستشراقي الذي خلفه أمثال "جوزيف شاخت" و"أوغست فيشر"، ولوحظ الاستخفاف بالإسلام وتاريخه وثقافته في المناهج البلجيكية، وأما المناهج في كندا فإن سياستها الصارمة في هذا الأمر هو الحيادية التامة، فهي تطبق علمانية لا تبيح لمؤلفي الكتب المدرسية أن يتهجموا فيها على أي دين، بما في ذلك الإسلام[1].

وأما في الجامعات الغربية فإن دارسة الإسلام فيها يرجع إلى القرون الوسطى، وهذا تاريخ له دلالته وتوجهه، الأمر الذي صبغ الدراسات القديمة بصبغة تحريف و تشويه وافتراء، إلا أنه وبالجملة قد بدأت هذه المناهج بالتغير وإحلال الكتب الجديدة مكان القديمة، وهذه سياسة تنتهجها الجامعات الغربية عمومًا، مما أدى إلى تكاثر نسبي في الكتب المحسنة؛ الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من التحسن في نظرة الغربيين إلى الإسلام وأهله.

وعمومًا فإن كتب الدراسات الجامعية تدور محاورها حول القضايا التي يهتم بها الغربيون عادة مثل قضايا الجهاد،

(1) يراجع: الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د. محمد وقيع الله (ص 69-165).

والفلسفة، والتصوف، والمرأة، وما يدعونه "بالوهابية" هي الأكثر عنايةً من قبل هذه المقررات، في مقابل ضعف ظاهر في دراسة السنة والسيرة والتشريع الإسلامي.

وفي دراسة أعدها البروفسور "خالد بلانكنشب" حول صورة الإسلام والمسلمين في كتب الدين المعاصرة المقررة بجامعات أمريكا الشمالية، ينتهي إلى أنه يختلف تصوير المسلمين في الكتب الدراسية بأمريكا الشمالية اختلافًا كبيرًا، من ناحية الكم والكيف؛ فلا تزال كثير من الكتب تشتمل على بعض الصور والقوالب المعادية للإسلام، وذلك على الرغم من جهود الناشرين مؤخرًا في محاولة لتقديم صورة عادلة ومعقولة للإسلام [1].

ولا شك أن عوامل عدة أثرت في إيجاد هذا التوجه الملائم، منها ما وجه لحركتي التنصير والاستشراق من نقد مستحق، كما فعل د. إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وسار في دربه عدد من الباحثين، كالدكتور عبد اللطيف الطيباوي الذي قدم دراستين عن تجني المستشرقين على

(1) صورة الإسلام والمسلمين في كتب الدين المعاصرة المقررة بجامعات أمريكا الشمالية، وقائع الندوة السنوية الثالثة لمعهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا، 13-15 ذو القعدة 1415هـ، (ص 251).

الإسلام، واتهامهم له بالنقائص، كما أفصحت عدد من الدراسات عن ضعف الجوانب العلمية، وطغيان التحيز في كثير من تلك الدراسات[1].

كما ساعد على هذه التغيرات إعداد معايير خاصة للتعبير والكتابة في المقررات الدراسية، والتي تمنع من إسقاط رأي المؤلف في ثنايا عباراته أو تضمينه أحكامًا لوصف دين ما أو عقيدة ما، وقد خرجت عدة توصيات من أكثر من جهة دولية اعتبارية تدعو إلى مراعاة تلك الضوابط، وتحذر من سوء عاقبة إهمالها[2].

ولا يُنسى في هذا المقام دور عقلاء الغربيين كالأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا الذي أثرت عنه كلمات منصفة بحق المسلمين[3]، وكذا عدد من الأكاديميين والمثقفين المعتدلين.

كما ساهم عدد من الأكاديميين الغربيين بتقديم بدائل محسنة للمناهج المستفزة والمحرفة كما فعلت أ. سوزان

(1) ومن تلك الدراسات أيضًا دراسة د. محمد خليفة حسن، بعنوان "أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر".

(2) كما في معهد السلام بواشنطن الذي أنشئ عام 1984م بقرار من الكونجرس، وكان من مهمته بحث الأسباب الكفيلة بمنع انفجار الصراعات وأساليب احتوائها.

(3) يراجع ترجمة خطاب تشارلز في كتاب الإسلام والغرب، وقائع المؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1418هـ، (ص822-823).

دوجلاس في سلسلة "الإسلام والحضارة الإسلامية"، وهي تضم اثني عشر كتابًا تغطي احتياجات مراحل التعليم بدءًا من الروضة وانتهاءً بالصف الرابع الثانوي.

كما ظهرت أدبيات بأقلام مسلمة؛ حيث رصد بعض الباحثين خمسة وعشرين كتابًا في السنوات العشر الأخيرة بأقلام مسلمة أمريكية، كما أسهمت حملة الترجمة النشطة في هذا التحول ولا سيما الترجمات الصحيحة للقرآن الكريم، وكتب السنة المطهرة، والتفسير والسيرة.

وهكذا يظهر هذا التحسن الملحوظ الذي سينعكس بدوره على الأجيال القادمة؛ إلا أن الأمر لا يمضي هكذا في طريقه قدمًا دون صعوبات وعقبات.

ذلك أن هذا الاعتدال الذي حصل مؤخرًا فجَّر هجومًا من قبل دعاة صراع الحضارات وأقطاب المعسكر اليميني النصراني المتطرف.

حيث هوجم من تعامل مع الإسلام بموضوعية وإنصاف من أساتذة الدراسات الأكاديمية الشرقية، وصار شائعًا أن هؤلاء الأساتذة "**يقدمون دعاية مجانية لدينٍ معاد**".

وانبرى صامويل هنتنجتون الأستاذ بجامعة هارفارد؛

فلم يكتف بمؤلَّفِهِ "صراع الحضارات" عام 1992م، حتى أصدر بعد أكثر من عشر سنوات وبالتحديد عام 2004م دراسته بعنوان "**من نحن؟**" وقد شن فيه هجومًا على ما أسماه: الإسراف في تدريس ثقافات وأديان الأمم الأخرى، ومن بينها الإسلام في إطار المناهج الأمريكية، وقد أشار إلى بروتستانتية أمريكا وأنها أصبحت في خطر بسبب تلك الدراسات الأجنبية الوافدة من ثقافات وحضارات وأديان العالم الأخرى؛ الأمر الذي سيقود إلى تفكيك الوحدة الثقافية الأمريكية، ثم قال: **"أما ما يرمي إليه دعاة التعدد الثقافي حاليًا فهو على العكس من ذلك، فهم يطالبون بتقليل دروس اللغة الإنجليزية، وإيقاف عملية تشرب الطلاب الأمريكيين بقيم الثقافة الأمريكية، وأسوأ من ذلك إعطاؤهم فرصة لدراسة لغات وثقافات وقصص أبطال الأمم الأخرى، كالأمم الإسلامية"**[1].

إن مما حفز هنتنجتون وهو من أتباع المدرسة الوضعية المنطقية لأن يكتب صراع الحضارات؛ ما يشهده من هذا التحسن الطارئ على صورة الإسلام، وأنه لا يمكن أن يوقف هذا المد سوى توجه

(1) **Samuel Huntington, who Are we, the challenge to Americans national Identity, Simon of schustes, New York, 2004, p. 62-64, p.173.**

ديني أصولي بروتستنتي إنجيلي متطرف، فكتب "صراع الحضارات"، ثم لم يلبث أن انحاز عن أطروحة صراع الحضارات إلى أطروحة أضيق هي "صراع الأديان"، وها هو يستثمر توجهات اليمين الأمريكي وطاقاته لصالح دعوته الصراعية.

ولعل من أسباب صدور كتابه الأخير ما ألفه البروفسور "مايكل سيلز" بعنوان "الاقتراب من القرآن، التنزلات الأولى: **The early revelations Approoching The Qura'an**

حيث قدم الكاتب ترجمة أمينة لخمس وثلاثين سورة مكية إلى الإنجليزية وغدا كتابه مقررًا ضمن مادة الإرشاد الثقافي بجامعة كارولينا الشمالية لطلبة السنة الأولى.

وهنا قامت العاصفة مدوية، فصرح أحد زعمائهم وهو "سام إيليز" عضو مجلس النواب قائلاً: "إن مواطني الولاية لا يريدون لأبنائهم الطلاب الجامعيين أن يقرءوا هذا الشر الذي قررته عليهم الجامعة كمادة إجبارية"[1]، وتحدث السياسي "بيل أوريلي" قائلاً: "إن القرآن كتاب أعدائنا الدينيين، وهو شبيه بكتاب كفاحي لهتلر، فكيف نسمح بتدريسه لطلابنا الجامعيين"[2]؟!

---

(1) **Clande Salhani, "Koranic misreading" Culture vulture colamn, United pres International 2002- AUG-9.**

(1) **Joe Glover "Book Jail's to tell whole Trath, USA to day 2002- AUG-8.**

ومع هذا فإن سجالاً قد قام في أمريكا وعلى صحفها اليومية، فصحيفة **USA Today** نشرت في افتتاحيتها 8/ 8/ 2002م **"أن الأمة الأمريكية تحاول أن تتفهم أبعاد ما جرى في 11 سبتمبر 2001م، وأن تستخدم كل الإمكانيات المتاحة لديها، ولا تحتاج أن تبعث مزيدًا من الكراهية باسم الدين، وأما وصف البعض للمسلمين بأنهم العدو، فإنه أمر لا يفيد إلا فئة المسلمين المتطرفين الراديكاليين الذين يحاولون تصوير الحرب الأمريكية على الإرهاب أنها الحملة الصليبية الغربية على الإسلام"**.

وقد انبرى عدد من الأساتذة للدفاع عن زميلهم بما يدعم مسيرة الاعتدال، فقال البروفسور "كارل إيرنست": **إن "سيلز" قدم إسهامًا جوهريًّا للأدبيات الدينية يجب أن يُهنأ عليه، وأنه سيلقى ترحيب العلماء والطلاب والمؤمنين الذين يبتغون فهمًا صحيحًا عن الإسلام وكتابه المقدس"**[1].

وانبرت د. كارين آرمسترونج أستاذة الإسلاميات بجامعة فرجينيا قائلة: "إن مايكل سيلز قد أنجز خدمة لا تقدر بثمن، وذلك بأن جعل جمال القرآن وطاقته الروحية، وقوته المقنعة متاحة للقارئ الغربي لأول مرة"[2].

(2) الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة (ص 421، 422).
(1) الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة (ص421، 422).

ثم إن مارتن كريمر أستاذ الدراسات الشرق أوسطية، ورئيس دورية الشرق الأوسط، ومدير مركز "موشى ديان" للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية بجامعة تل أبيب، والأستاذ بعدد من الجامعات الأمريكية -شن حربًا على أقسام الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية متهمًا إياها بأنها صارت تُعنى بتقديم الإسلام المعتدل للأمريكان، بدلاً من أن يوفروا المعلومات الصحيحة لدعم اتخاذ القرارات حول الشرق الأوسط، وزاد من حملته على التعليم العام أيضًا، وأنشأ منظمةً لمراقبة الطريقة التي تدرس بها الإسلاميات في الجامعات، والتي تسمى مراقبة الحرم الجامعي، ومهمتها التبليغ عما يقوله أساتذة الإسلاميات وأساتذة الدراسات الشرق أوسطية، مما لا ينسجم مع الرؤية الصهيونية المتطرفة [1].

الأمر الذي حدا بمجلس الأمن القومي الأمريكي أن يتدخل فيكلف معهد بحوث السياسات الخارجية التابع له بمتابعة الأمر والتوجيه بشأنه، فعُقد مؤتمر في 3-4 مايو 2003م ليبحث عما يمكن أن يكون في دراسة الإسلام من

(2) http://www.campus_watch.org.

محاذير، وتناول المؤتمر بالبحث موضوعات عدة، ودارت فيه مناقشات مستفيضة لينتهي إلى تحذير الأساتذة من دمغ المسلمين بالتهم وتصويرهم على أنهم شيء واحد، فالإسلام ليس ظاهرة ساذجة، والمسلمون لم يخرجوا من قالب واحد.

مع ملاحظة أن العداء الإسرائيلي قد قاد المسلمين للعداء مع الأمريكان، ولم يكن ذلك معهودًا من قبل ظهور الصراع العربي الإسرائيلي، ولا يخفى ما في هذه النتيجة من إيجابية في مقابل تلك الرؤية الصهيونية المتطرفة.

المبحث الثالث

صورة النبي ﷺ في التراث الغربي

إذا كانت الصورة عن الإسلام على النحو الذي ظهر، فلا شك أن ممثله الأول ﷺ سيناله القسط الأكبر من التجني والتشويه.

ولا تزال ذاكرة التاريخ تحفظ أن يوحنا الدمشقي (676م- 749م) (55-131هـ) قدم كتابه الذي أسماه "الهرطقة"، يهاجم فيه النبي ﷺ وسيرته، زاعمًا أن القرآن من وضع بحيرى الراهب وبمساعدة من النبي ﷺ الذي أخذ عن ورقة بن نوفل، وكان قسًّا يترجم الأناجيل المحرفة إلى العربية.

وفي سياق العصور الوسطى ذكر بيدرو باسكال: "**إن المصادر الإسلامية تفيد بأن راهبًا مرتدًّا عن النصرانية يقال له بحيرى رأى محمدًا، وقرَّبه إليه، وعلمه الدين المحرَّف، وحذر عمه أبا طالب من أن يصيبه اليهود بسوء، وسرعان ما تعلم محمد أمور الرهبنة، وانقطع للتنسك بجبل في مكة، مهيئًا نفسه لتزوير كتاب ديني يزعم أنه أوحي إليه**"[1].

وعلى هذا المنوال نسج البريطاني جون مانفيلد الذي

(1) **N. Daniel, Islam and the West: The making of an image. Edinburgh university press, Edinburgh, 1966, P.235.**

عاش في القرن الرابع عشر الميلادي؛ حيث قال: "**حين تشبع محمد من أفكار الراهب قام بكتابة نص ديني خاص به سماه القرآن الكريم، ثم هجم بمعية أتباع له على الراهب بحيري، وحصره واجتز رأسه بالسيف، ولما كان محمد سكرانًا حينها، فإنه لم يدر ما فعل، إلا أنه لما أفاق وأدرك ما جنت يداه أصدر أمرًا عامًّا بتحريم الخمر، فغدت منذ ذلك اليوم محرمة على جموع المسلمين**"[1].

كما أن مارتن لوثر الألماني رأس الكنيسة البروتستانتية كان "صانع صورة" من الأكاذيب الغريبة؛ يهدف من ورائها إلى شحن العامة بالأحقاد ليتحولوا إلى وحوش في حربهم ضد الأتراك المسلمين.. ومن أجل ذلك قال في إحدى "مواعظه": "**أرى أن القساوسة عليهم أن يخطبوا الآن أمام الشعب عن فظائع محمد؛ حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضًا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب، ويضحوا بأموالهم وأنفسهم !!**".

وامتدادًا لهذا الإفك فقد ذهبت دراستان ألمانيتان معاصرتان إلى أن الأوربيين قد ادعوا "**أن محمدًا ﷺ كان في**

(1) **Reeves, M.P. 106**، نقلاً عن "الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د. محمد وقيع الله أحمد ، ط 1427هـ- 2006م، (ص50).

الأصل كاردينالاً كاثوليكيًّا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمدًا ﷺ المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية!"[1].

فهذه الشهادة الألمانية، هي التي تفسر لنا "الشهادة الإنجليزية" للقائد الإنجليزي جلوب عن أن مشكلة الغرب مع الإسلام إنما تعود إلى القرن السابع للميلاد.

ومن أسوأ من كتب عن النبي ﷺ من مشاهير كتاب أوروبا عبر قرون متطاولة هو الإيطالي "دانتي" (1321م-1465م) في ملحمتة الشعرية "الكوميديا الإلهية".

حيث وضع نبي الله ﷺ، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة في الكوميديا الإلهية كما أسماها، وهذا الجزء من الجحيم كما يدعي دانتي قد تم تخصيصه لمثيري الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية،

(1) "صورة الإسلام في التراث الغربي"، هوبر هيركومر، وجيرنوت روتر، ترجمة ثابت عيد، (ص18-21).

ومن يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار[1].

وانتشرت منذ ذلك الوقت القصص الأسطورية المختلقة التي تتعمد إهانة النبي ﷺ أو التشكيك في نبوته أو دعوته، أو استحقاقه للاحترام والتقدير. وقد نشرت على نطاق واسع في أوروبا الحكاية الأسطورية القائلة: إن محمدًا قد درّب الحمامة لتنقر حبوب القمح من أذنه، وبذلك أقنع العرب أن تلك الحمامة هي رسول الروح القدس، الذي كان يبلغه الوحي الإلهي، وعممت هذه الحكاية المختلقة إلى درجة أن الشاعر الإنجليزي جون ليدهيت -وهو من شعراء القرن الخامس عشر- عندما وضع سيرةً لحياة محمد، سمى لون تلك الحمامة "حليبًا- أبيض"[2]. كما ردد هذه القصة الساقطة مؤرخون وأدباء أوروبيون!

كما كانت الصور النمطية تؤكد أن الإسلام دين يدعو إلى الشهوانية، وأن نبيَّه يجتذب الناس إلى دعوته من خلال ذلك، وجرى التركيز على وصف أن الإسلام هو دين البسطاء ومتوسطي الذكاء، وهو وصف لا يزال يتكرر في أدبيات

(1) الكوميديا الإلهية، لدانتي، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، مصر، 1995م، (ص73-77).

(2) **Ph. Hitti, Islam and the west, P55-74.**

الغرب المعاصرة، فمثلاً يؤكد القديس توما الأكويني المزاعم القائلة: إن محمدًا أغوى كثيرًا من الشعوب للدخول في عقيدته، من خلال تشجيعه إياهم على الحصول على الملذات والشهوات الحسية، وعن طريق الوعود التي قطعها لهم ضمن هذا التوجه الغرائزي، يتابع الأكويني السير في هذا المنحى المتحيز، مؤكدًا أن محمدًا أسس قواعده وأحكامه التشريعية، التي تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب[1].

ومن عجب أن الشاعر الألماني جوته (1749م- 1832م) الذي ادعى هيامًا بالشرق والشرقيين يزعم: "**أن النبي | قد نصب حول العرب غلافًا دنيئًا كثيبًا، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي**"[2].

وكذا الفرنسي "فولتير" يرى في شخصيته صلى الله عليه وسلم نموذجًا للتعصب والتطرف، فيقول: "**إنني أصور محمدًا متعصبًا، عنيفًا ومحتالاً،... وعارًا على الجنس البشري، الذي حول التاجر ليصبح نبيًّا، مشرعًا وملكًا.. محمد إنه يجسد**

(1) "الشامل في الرد على الكفرة" توما الأكويني، عن "صورة الإسلام في التراث الغربي" (ص43).

(2) نقلاً عن "في فقه المواجهة بين الإسلام والغرب"، د. محمد عمارة، (ص141).

خطر التعصب"[1].

الأمر الذي حدا نابليون أن قال عن مقالة فولتير السابقة: **"إنه هنا قد تخلى عن التاريخ والقلب الإنساني"**[2].

ولا تزال لوحات كنسية تنتشر في بلجيكا وإيطاليا وغيرها تعرض صورًا مزعومة للنبي ﷺ وهو يعذب في النار !![3].

وأما ما يساق في عالم اليوم من الشبهات والافتراءات على أيدي قسس وسياسيين ومفكرين معاصرين وإعلاميين، فأكثر من أن يذكر أو أن ينقل.

وتكفي في هذا الصدد مطالعات سريعة لمحطات البث النصراني، والجامعات الأصولية المسيحية، ومواقع الإفك الإلكتروني، وما يبثه أمثال بات روبرتسون[4]،

---

(1) لماذا يكرهونه، (ص52-53)، نقلاً عن "حول مفهوم الشخصية" أ.ب كوبزيف (ص676).

(2) **N. Daniel, Islam, Europe and Empire.**

(3) لماذا يكرهونه، د/ باسم خفاجي (ص36-38).

(4) بات روبرتسون: قسيس إنجيلي معروف بتأييده المطلق لإسرائيل، يمتلك عددًا من المؤسسات الإعلامية، كما يمتلك محطة فضائية، وهي محطة "البث النصراني **Christian Broadcasting**"، والرجل يقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري.

وفرانكلين جراهام[1]، وجيرى فاينز[2]، وجيري فالويل[3]، وأخيرًا بابا الفاتيكان[4]!!

(1) فرانكلين جراهام: هو ابن القسيس الأمريكي المشهور بيلي جراهام، حيث عمل قسيسًا خاصًا للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشارد نيكسون، وحتى الرئيس السابق بيل كلينتون، وقد تولى فرانكلين نفس المهام بعد تقاعد الأب حيث قام بالمراسم الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي جورج بوش، إضافة إلى توليه كافة المسئوليات الكنسية التي أنشأها أبوه، كما تعد كنيسته من أكبر الكنائس الأمريكية عددًا وتأثيرًا.

(2) جيري فاينز: راعي كنيسة في ولاية فلوريدا، وهو من أبرز المتحدثين الأمريكيين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، وقد صدرت منه إهانات بالغة للنبي ﷺ بمحضر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، الذي لم يصدر منه أي تعليق على هذه الإهانات، بل اعتبره من المتحدثين بصدق عن دينهم.

(3) جيري فالويل: قسيس إنجيلي معروف بولاية فرجينيا الأمريكية، يملك جامعة خاصة أصولية، وله برنامج إذاعي وتلفزيوني أسبوعي، يهاجم فيه النبي ﷺ، كما أنه يروج من خلال موقعه الإلكتروني لكتاب "فلنتقدم إلى معركة هرمجدون"، وهي معركة نهاية التاريخ في معتقدات الإنجيليين.

(4) بابا الفاتيكان "بينديكت السادس عشر": هو أعلى رمز ديني في الغرب المسيحي وقد اختار الرجل أن تكون مقدمة محاضرته التي ألقاها في جمع من العلماء الألمان في جامعة ريجينسبرج هجومًا صريحًا على نبي الإسلام، حيث قال: "أرني ماذا قدم محمد من جديد؟ وسوف لن تجد إلا أمورًا شيطانية وغير إنسانية".

المبحث الرابع

أسباب التطاول على دين الإسلام وخير الأنام ﷺ

لقد بان من خلال العرض السابق لصورة الإسلام ونبيه في التراث الغربي القديم والمعاصر ومناهج التعليم أن أسباب هذا التطاول متعددة، ويمكن تصنيف هذه الأسباب إلى فئات محددة:

أولها: الأسباب الدينية:

ويمكن بسهولة فهم هذه الأسباب محررة في النقاط التالية:

1- منع المسيحية من الانتشار والتوسع:

يبدأ ذلك من تحرير الشرق بالتوحيد الحق، يقول ليفي ستراوس: "**إن وجود الإسلام قد لعب دورًا مزعجًا: لقد قطع إلى نصفين عالمًا كان يستعد للاتحاد، وتدخل بين الهللينية والشرق، وبين المسيحية والبوذية، لقد قام الإسلام بعملية أسلمة للغرب، ومنع المسيحية من أن تتعمق**"[1].

ويقول آخر: "**لقد أمكن لمحمد أن يكوِّن إمبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح**"[2].

---

(1) **Levi - strauss, Tristes Tropiques, pp.437.**

(2) "أوروبا والإسلام... صدام الثقافة والحداثة"، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2001، (ص13).

ولو أن هؤلاء استمعوا إلى المنصفين من بني جلدتهم ما صدرت عنهم تلك المقولات.

يقول جوستاف لوبون: "**سيرى القارئ -حيث يبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم- أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن الكريم، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا في أديانهم**"، **ويقول أيضاً: "لم ينتشر القرآن الكريم بالسيف.. بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب**"[1].

ويقول الكونت "هنري دي كاستري" في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح": "**فلم يُكره أحد عليه- أي الإسلام- بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن الكريم من مواهب التأثير والأخذ بالألباب**"[2].

2- التقابل بين عقيدة التوحيد والتثليث:

فكما تقوم عقيدتهم على تقديس الإنسان واعتباره إلهًا أو ابن الإله، وجعله محور هذا الكون، فإن عقيدة التوحيد تقوم على ضد ذلك كله، فهي لا تثبت ألوهية أحد دون الله، ولا تقبل أن يخرج الإنسان عن طوره، ونبي الإسلام محمد ﷺ هو عبد الله

(1) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة محمد عادل، (ص145-148).
(2) نقلاً عن الإسلام في قفص الاتهام (ص110).

ورسوله، كما أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، والمسئولية فردية أمام الله في الآخرة، ولا يحمل أحدٌ عن أحد خطيئته يوم القيامة.

ويكفي في الرد على هذه العقيدة الباطلة أنه قام مجموعة من كبار المحاضرين وأساتذة اللاهوت في جامعات لندن وبيرمينجهام وأكسفورد بإعداد دراسة كانت بعنوان "**أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**". يقول أحد الباحثين "دون كوبيت" في خاتمة بحثه لهذه الدراسة: "**ومقياس التدين الصحيح بمفهومه الحقيقي يتطلب ألا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعًا من مذهب عبادة الإنسان للإنسان؛ إذ يجب التركيز على الله وليس على المسيح**"[1].

3- قوة الإسلام الذاتية:

وهي قوة معنوية خارقة تملأ المسلم قدرة وحماسًا وتعينه على الانتصار على نفسه أولاً، وعلى أعدائه الخارجيين ثانيًا، وهي قوة مادية عادلة يطالب الدين كل مؤمن بتحصيلها، يقول تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[الأنفال: 60]، ويقول ﷺ: "**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ**"[2].

(1) "أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح" جون هاك، ترجمة د/ نبيل صبحي (ص17).
(2) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، (2664)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

والعجب أن يتخذ بعض مفكري القرون الوسطى من هذا المعنى دليلاً يسوقه ضد الإسلام يقول دانيال: "**إن استعمال القوة، كان تقريبًا معتبرًا بالإجماع كخاصية كبيرة وأساسية للدين الإسلامي، وبالتالي فهو دلالة بدهية على ضلال الإسلام**"[1].

والحق أن هناك وجودًا حقيقيًا لهذا الخوف من قوة الإسلام العقدية والفكرية والسياسية والتشريعية على حدٍّ سواء، وهذا الخوف هو الذي يحرك هذا الاتهام، يقول جولدزيهر: "**إن الإسلام قد جعل الدين دنيويًّا، لقد أراد أن يبني حكمًا لهذا العالم بوسائل هذا العالم**"[2].

وهذا برنارد لويس مستشار البيت الأبيض الأمريكي يقول: "**إننا نواجه مزاجًا وتحركًا سيرفعان إلى حد كبير من وتيرة القضايا والسياسات التي تنتهجها الحكومات، وهذا ليس صدام حضارات، قد يكون هذا هو رد الفعل اللاعقلاني بل التاريخي لخصم قديم على تراثنا اليهودي المسيحي، وحاضرنا العلماني، وانتشارهما على نطاق عالمي**"[3].

---

(1) **N. Daniel, "Islam and the west" pp. 146.**

(2) نقلاً عن "لماذا يكرهونه؟" (ص82).

(3) الإسلام هو العدو الأول للإمبراطورية الأمريكية، جريدة الاتحاد، أبو ظبي، 9-9-2003م.

ثانيها: الأسباب الفكرية والثقافية.

لا شك أن حروبًا ثقافية فكرية اجتماعية استمرت داخل الحضارة الغربية لأكثر من سبعين عامًا بين الرأسمالية والشيوعية، الليبرالية والشمولية، وقد حسمت القضية لصالح الليبرالية الغربية، وقضى على الشيوعية قضاء مبرمًا، وعلى أساس هذا جاء كتاب "نهاية التاريخ" لفوكوياما، ثم تبعه اليهودي هنتنجتون في "صراع الحضارات"، ثم عاد فوكوياما بعد قارعة سبتمبر 2001م ليتحدث عن "**الحداثة التي تمثلها أمريكا والغرب، والتي ستبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية.. وعن مبادئ الغرب التي ستستمر في الانتشار عبر العالم**".

وكتب عن استعصاء الإسلام وحده على الخضوع لهذه الحداثة الأمريكية، والقبول بهذه المبادئ الغربية "**التي تلقى قبولاً كبيرًا لدى الكثيرين من شعوب العالم غير الغربية، إن لم نقل جميعها.. بينما الإسلام هو الحضارة الوحيدة في العالم التي يمكن الجدال بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة الغربية؛ فالعالم الإسلامي لا يرفض فقط السياسات الغربية، وإنما يرفض المبدأ الأكثر أساسية للحداثة الغربية، وهو العلمانية نفسها... وإن الصراع الحالي ليس معركة ضد**

الإرهاب، ولكنه ضد الأصولية الإسلامية التي تقف ضد الحداثة الغربية، وهذا التحدي -بالنسبة لأمريكا- هو أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية".

وأخيرًا فقد عاد هنتنجتون بعد سبتمبر 2001م داعيًا إلى ما سماه بـ"**حرب داخل الإسلام، حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية.. والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة**"، وهو بهذا يصادق على كلام فوكوياما الذي قال: "**وإن التطور الأهم يجب أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، وعلى المجتمع الإسلامي أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية**"[1]!!

وهما بهذا يتجاوبان بعد أكثر من عشر سنوات في اتساق واضح مع مجلة دراسة "شئون دولية" -التي صدرت في "كمبردج" بإنجلترا في يناير 1991م- عقب سقوط الاتحاد السوفييتي مباشرة، عندما تحدثت عن "**الأفكار الرائجة في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي**"، وعندما عللت لإعلان الغرب أن الإسلام هو العدو الذي حل محل

(1) تراجع: دراسات فوكوياما وهنتنجتون في العدد السنوي من مجلة النيوزويك الأمريكية، ديسمبر 2001م، فبراير 2002م.

إمبراطورية الشر الشيوعية، وتحدثت عن الأسباب الثقافية لهذا العداء وهذا الإعلان للحرب على الإسلام. ففي الملف الذي نشرته المجلة، ومن خلال دراستين علميتين رصينتين، إحداهما عن "الإسلام والمسيحية" كتبها "إدوارد مورتيمر"، وثانيتهما عن "الإسلام والماركسية" كتبها عالم الأنثروبولوجيا "إرنست جيلنر"، قالت المجلة: **"لقد شعر الكثيرون -في الغرب- بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتي، وبالنسبة إلى هذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول.. فالإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي للثقافة الغربية"**.

إذن فالمواجهة مفروضة -كرهًا- على المسلمين اليوم لا لشيء إلا لاستعصائه على العلمنة التي تصحب منظومة العولمة، التي ترمي أخيرًا لتكريس التبعية وفقدان الهوية، فعلمنة الإسلام ومن ثم إلحاق الإسلام بالنصرانية الغربية، لإلحاق العالم الإسلامي بالغرب هو الهدف الأول المعلن: في كتاب "نيكسون" قبيل سقوط الشيوعية، وفي دراسة مجلة "شئون دولية" فور سقوط الشيوعية.. وفي كتابات فوكوياما

قبل أحداث سبتمبر وبعدها!

وإذا كان الكاتب الاستراتيجي الأمريكي -اليهودي- "صموئيل هنتنجتون" قد كتب عقب سقوط الشيوعية، فكشف عن واقع ممارسة الغرب لصدام الحضارات، وصراع الثقافات... وأشار على صانع القرار الأمريكي أن يبدأ مسلسل صدام الحضارات بالحرب على الإسلام، لتميز ثقافة الإسلام عن الثقافة الغربية، فلا عجب إذن أن تصدر أمريكا أوامرها إلى عدد من الحكومات العربية والإسلامية بتغيير مناهج التعليم الديني، لتقف فقط عند الشعائر والمناسك والعبادات والشكليات والآليات، مع إلغاء كل ما يتعلق بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والجهاد وتاريخ الغزوات والفتوحات والولاء والبراء... مع اختصار "حصص" هذا التعليم الديني -في بعض البلاد- من أربع وعشرين ساعة أسبوعيًّا إلى أربع ساعات فقط! ذلك أن الأمر كما يقول "توماس فريدمان": "**إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس**"[1].

ولا عجب أيضًا أن تضع الصهيونية العنصرية على رأس جدول أعمال المفاوضات متعددة الأطراف -منذ نحو

(1) نيويورك تايمز الأمريكية، والنقل عن صحيفة وطني (القاهرة) في 25-1-2005م.

عشر سنوات- "بند ثقافة السلام" بدعوى أن الإسلام يحض على كراهية اليهود!

وأن تصدر أمريكا التعليمات، وتعتمد الميزانيات لتكوين "الدعاة والأئمة المستنيرين" الذين سيتولون ترويج أفكار الغرب وتشكيل الجيل الجديد وإعادة صياغته؛ بل لقد تجاوز التدخل في التعليم الديني بالبلاد العربية والإسلامية حدود المطالبة باختزال المناهج وساعات التدريس، والاكتفاء من الإسلام بالجانب العبادي والشعائري -الفردي دون الاجتماعي-؛ تجاوز الأمر هذه الحدود إلى حيث طلبت أمريكا تحويل المدارس إلى أجهزة مراقبةٍ أمنيةٍ على المدرسين والطلاب، لحساب أجهزة الاستخبارات ومكاتب التحقيقات الأمريكية!.. "فخصصت أمريكا لباكستان مائة مليون دولار؛ لكي تراجع كتب الثقافة الإسلامية -وليس فقط المناهج الدراسية- وتحكمَ السيطرة على المدارس الدينية، بحيث يعد ملف لكل أستاذ وطالب"[1].

وأن يفتِّش عن أرباب الإسلام الطرقي المنحرف، أو البدعي الضال، أو الرافضي الأثيم، ليتسنم القيادة والريادة في

(1) مقال بصحيفة العربي، لفهمي هويدي، 13-1-2002م.

البلاد الإسلامية بدلاً عن القيادة السُّنية الحقيقية.

ولا عجب أيضًا أن يحتفي الغرب بـ "سلمان رشدي" أو "نصر حامد أبو زيد" وغيرهم ممن احترفوا الهجوم على الإسلام وحرماته ومقدساته، وأن يتحولوا إلى أبطال يُستقبلون استقبال رؤساء الدول، وتنهال عليهم الجوائز والهبات، وأن يتهجم بعض أهل الدانمرك على النبي ﷺ ويتجاوب معهم عدد ليس بالقليل عبر السنة الماضية من دول الغرب، وأن ينتهي الأمر إلى كبير قساوستهم فينال من الجناب النبوي المطهر.

إن العقل الواعي بالأحداث يستطيع بأدنى تأمل أن يرى رباطًا جامعًا تلتئم منه حرب ضروس شاملة معلنة على الحرمات والمقدسات، والعقائد والأفكار، والثقافات والآداب الإسلامية، ولا مجال للتشكيك إذن بأن هناك تأثرًا بنظرية المؤامرة؛ إذ الأمور جلها معلن لا يحتاج إلى استخفاء أو مداورة!

لقد أكدت هذه الحرب الغربية -على الإسلام أو داخل الإسلام- أن هدف الغرب السياسي هو علمنة الإسلام، وتحويله إلى صيغة نصرانية، تقبل الفصل بينه وبين الدولة، لإلغاء التميز الإسلامي، وتسهيل إلحاق العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية بالنموذج الغربي، تأييدًا للتبعية الحضارية، وتكريسًا

لعولمة التغريب.. وفي هذا الإطار، سارع المستشرق اليهودي الأمريكي "برنارد لويس" -بعد 11 سبتمبر سنة 2001م- إلى إصدار كتاب عنوانه "ما هو الخطأ الحادث في العلاقة بين الإسلام والغرب؟"، وفي هذا الكتاب واصل أطروحاته القديمة حول "أن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب.. فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية -المسيحية "الغربية".. وآيات القرآن -بزعمه- تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين[1]. وهذه الحرب- التي أعلنها الغرب بقيادة أمريكا بعد الحادي عشر من سبتمبر هي برأي برنارد لويس- "حرب بين الأديان"[2].

وأخـــيرًا:

فإذا كانت العلمانية الغربية قد أخذت مداها في التطبيق، فإنها آتت ثمارها النكدة لا شك في ذلك، ومنها إهدار كل حرمة والتعدِّي على كلِّ مقدَّس، وازدراء الأنبياء عامةً؛ والتعرض لموسى وعيسى عليهما السلام بشكل خاص، وأخيرًا على نبيِّنا ﷺ.

---

(1) في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، د/ محمد عمارة (ص97).

(2) صحيفة الأهرام في 2/ 3/ 2002، 3/ 3/ 2002م، نقلاً عن مقال النيوزويك، بقلم "زاخاري كاربيل" في 14/ 1/ 2002م.

ثالثها: الأسباب التاريخية والنفسية:

كان من بين ما ورثته أوروبا عن اليونان والرومان أن نظروا إلى أنفسهم على أنهم هم وحدهم المتمدينون، أما كل من كان أجنبيًّا عنهم، وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر الأبيض المتوسط، فقد كان اليونانيون والرومانيون يُطلقون عليهم لفظ "البرابرة"، ومنذ ذلك الحين والأوروبيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمرٌ واقع، ثم إن احتقارهم إلى حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوروبيًّا من أجناس الناس وشعوبهم؛ قد أصبح إحدى الميزات البارزة في المدنية الغربية[1].

ولقد تركت ثمانية حملات صليبية متوالية بصماتها على النفسية الغربية "489-690هـ/ 1096-1291م"، وهي حملات دعا إليها الباباوات، وحث عليها آباء الكنيسة لتحقق أهدافًا دينية، أولها القضاء على الإسلام، وإزالة المسلمين ككيان ووجود، وغايتها سيطرة الصليبية وسيادتها، ونرى أن هذه السلسلة من الحروب لم تبدأ إلا بعد الجزر الإسلامي وتوقف

(1) الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين (ص52).

المسلمين عن التقدم بعد أن خسروا معركة "بواتييه" أو "بلاط الشهداء"، حيث إن الصليبيين قد سال لعابهم لإحراز المزيد من الانتصارات والمكاسب وأمعنوا في مطاردة المسلمين حتى قامت دولة صليبية في قلب الأندلس وغربها، وتوالى سقوط أجزاء عزيزة في الأندلس في أيدي الصليبين وتبدّل حال المسلمين من المد إلى الجزر، ومن التقدم إلى التجمد.

ولا يزال التاريخ يذكر الخطبة الشهيرة في مجمع "كليرمون" عام 1095م في فرنسا، حيث طالب البابا الملوك والحكام الأوروبيين باستعادة "**أراضينا**" المقدسة من "قبيلة الفرس-الأتراك" التي تخدم القوى الشيطانية على حد زعمه! وقد وعدهم البابا بأن يحصلوا من هذه الحملات الصليبية المقدسة ليس على الخيرات المادية ، من الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً فحسب -كما جاء في التوراة-؛ بل ليصبحوا على طريق الجسد المقدس، أي على طريق الحجاج السائرين إلى القدس، وبذلك يخدمون الرب في الصراع مع "الكفار"، الذين يمنعون المسيحيين من القيام بالحج إلى الأراضي المقدسة[1].

(1) الإسلام والمسيحية، د/ أليسكي جورافيسكي، عالم المعرفة (ص34).

ولا يزال التاريخ يذكر أنه عندما دخلت الجيوش الصليبية دمشق كان أول ما فكر فيه قائدهم أن توجه إلى قبر "صلاح الدين" عند الجامع الأموي وركله بقدمه، وقال له: "ها قد عدنا يا صلاح الدين"، حقد شديد وغيظ بالغ ونفسية متوترة!!

وعندما سقطت القدس عام 1967م قال "تشرشل": "لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست الإسرائيلي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود[1].

وقد استغلت إسرائيل صليبية الغرب في جمع التبرعات لإعانتهم على الحرب فكتبوا على صناديق التبرع "قاتلوا المسلمين"؛ وعندئذ ثار حماس أولئك الموتورين وامتلأت الصناديق مرات ومرات، وسجلت التبرعات أرقامًا خيالية لا لشيء إلا للمساعدة والعون ضد الإسلام والمسلمين.

إذن فالحرب الصليبية لم تنته بعد، ولا يزال الأمل يراود أعداء الإسلام في القضاء عليه، حيث يعبرون بفرحة وشماتة عن

(1) نقلاً عن كتاب قادة الغرب يقولون، جلال العالم (ص32).

كل ما يسيء إلى المسلمين ويضرهم، ويُعربون بمزيد من الأسى عن كل نصر وتقدم ورقي للعالم الإسلامي. وكثيرًا ما أخذت الحروب الصليبية أشكالا وأسماءً متعددة، فالتطهير العرقي هو اسم حملة الصليب في بلاد البوسنة والهرسك مثلاً، وقمع المتمردين هو اسم حملة الصليب في بلاد الشيشان وهكذا.

ولم تنته تلك الحملات إلى اليوم، فما يزال التاريخ يذكر تلك الروح الصليبية التي ظهرت على لسان رئيس أمريكا حين وصف في 16 سبتمبر 2001م الحرب التي سيشنها على العالم الإسلامي بأنها "حملة صليبية".

وتبعه بيوم واحد رئيس وزراء بريطانيا قائلاً: "إنها حرب المدنية والحضارة في الغرب ضد البربرية في الشرق".

أما وزير العدل الأمريكي "جون أشكروفت" فقد علق قائلاً: "**إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله**"[1].

إنها نفسية تحمل أحقادًا تاريخية، قال سبحانه: ﴿**قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ**

(1) صحفية الشرق الأوسط، لندن، 21/ 2/ 2002م.

﴿ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118].

وهذه العنصرية النازية الظاهرة يعبر عنها "ساندرسون" بقوله: "**إن الجنس الآري العظيم هو وحده فقط القادر على قيادة البشرية نحو طريق الحرية الدينية، والسياسية، والحرية الفكرية**"(1).

إنها عنصرية تعبر عنها النساء كالرجال سواء بسواء، تقول وزيرة الخارجية الأمريكية "مادلين أولبرايت": "**إننا معشر الأمريكيين أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب!، وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب**"!(2).

إن هذه العنصرية المتوترة جعلت الكنيسة لا تحتمل أن يصدر عن أحد رعاياها كلمة حق، أو دفاع مستحق عن الإسلام، أو خير الأنام ﷺ.

فكان نصيب من يحاول هذا الدفاع أو يعلن رأيه الصريح هو الطرد والإبعاد من رحمة الباباوات !! وما وقع للأديب الروسي "تولستوي" خير شاهد؛ فبمجرد أن كتب في مقالةً له بعنوان "من هو محمد؟": "**إن محمدًا هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة،**

---

(1) **N. Daniel, Islam, Europeans Empire pp. 467-468.**

(2) صحيفة الأهرام-القاهرة 30/ 10/ 2001م.

ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طرق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال"[1].

عندها استحق تولستوي من فوره الخروج من رحمة البابا ومن ثم من رحمة الله!! -بزعمهم-.

رابعها: أسباب داخلية:

بالإضافة إلى ما ذكر من أسباب دينية وفكرية وتاريخية، ما عرضنا له من تشويه صورة الإسلام ونبيّه في المناهج والمقررات الدراسية، وفي التراث الغربي بصفة عامة؛ إلا أن ثمة أسباب أخرى تتعلق بأهل الإسلام أنفسهم.

فإنّ الله ﷻ علمنا أن ما أصابنا من مصيبة فبما كسبت أيدينا، وأرشد أسلافنا الصالحين حين قالوا: أنى هذا؟! فقال جلَّ مِن قائل عليمًا: ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾[آل عمران: 165].

- فمن عند أنفسنا: وقع تهاون بثوابت الدين ومعاقده الكلية، تَمثل في تجرؤ منتسبين إلى الإسلام، لا تقل جرأتهم على المقام

(1) مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: مكارم الغمري، عالم المعرفة (الكويت)، العدد 155، نوفمبر 1991.

النبوي المطهر عن جرأة أولئك المخالفين في أصل الدين، وما خبر "آيات شيطانية"، و "وليمة أعشاب البحر" عن مسامعنا ببعيد!

- ومن عند أنفسنا: وقع تعطيل للشرع في جوانب كثيرة، وضعف سلطان الشريعة في مجتمعات متعددة على طول العالم الإسلامي وعرضه.

- ومن عند أنفسنا: خفت صوت المحتسبين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وضعفت ولاية العلماء الربانيين على الواقع اليوم.

- ومن عند أنفسنا: أساء كثير من أبناء المسلمين تمثيل الإسلام بين أهله، فضلاً عن الدعوة إليه خارج دياره، سواء في ذلك الأفراد والمؤسسات.

- ومن عند أنفسنا: وقع التقصير في تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام ونبيِّه مما صدر بالعربية، فضلاً عما صدر بغيرها من اللغات.

- ومن عند أنفسنا: جرت تلك الممارسات المنهزمة في الدفاع عن الإسلام وثوابته، وتلك العجلة الطائشة في الرد عن الإسلام وأهله.

- ومن عند أنفسنا: حصل تشويه الإسلام بتقديمه باهتًا هزيلاً شاحبًا، مع ادعاء أنه الإسلام في كماله وبهائه!

المبحث الخامس

استشراف المستقبل

ليس من قبيل المبالغة أن نقول بعد بحث وطول درس: إن المستقبل للإسلام في الغرب، وإن الصورة المشوهة له بينهم آيلة للانحسار بإذن الله، وإن أنصارًا كثر سيركبون قطار الإسلام، وإن الإنصاف سيعلو صوته تدريجيًّا ولو بعد حين، ونحن نملك على هذا الاستشراف أدلة وأماراتٍ نذكر أهمها:

أولاً: إن ذلك الاعتماد على تراث حركتي التنصير والتبشير فيما يتعلق بعرض الإسلام في المناهج آخذ في الانحسار؛ بل ويحل محله كثير من الإنصاف، ولا سيما بعد ضربات موجعة لخطط المستشرقين ومناهجهم، كما يدعم هذا التوجه الإيجابي انفتاح حضاري وتواصل ثقافي وعلمي بين الشرق والغرب، وترجمات صحيحة لكتب الإسلام الأصيلة ومراجعه الأولى، ولا سيما القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة.

ثانيًا: إن إعداد الكتب الدراسية لا تقوم به وزارات التعليم في الغرب، وإنما تتنافس في إعدادها دور النشر التجارية، والتي يلتزم كثير منها بإسناد الكتب إلى الخبراء الحياديين الملتزمين بدرجة كبيرة بضوابط التحرير والتأليف، علاوة على حرص عدد منهم على استشارة المسلمين عند الكتابة، كما أن عددًا

من هذه المقررات تولّى تأليفها مسلمون بأنفسهم، وتجدر الإشارة إلى أن عددًا من المراكز والمؤسسات العلمية قد تأسست في بلاد الشرق لتكتب باللغات الحية مباشرة مناهج المقررات، وسلاسل الكتب التعليمية بصورٍ وأشكالٍ راقية، الأمر الذي سيسهم قريبًا بإذن الله في تصحيح الصورة وكسب مزيد من الأنصار.

ثالثًا: تزايد عدد طلاب العلم من الغربيين المسلمين الذين درسوا بجامعات إسلامية كالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، والأزهر بمصر، وغيرها، وتزايد عدد الطلاب المسلمين المتدينين في تلك المدارس والجامعات من أبناء المهاجرين القدامى والجدد، ومع تملك هاتين الفئتين لناصية اللغة الأجنبية وحسن الفهم للقضايا والأمور الشرعية ستزيد بلا شك نسبة الوعي الصحيح ويقل الوعي الزائف.

رابعًا: مع الاهتمام بالإسلام في الجامعات الغربية زاد عدد المدرسين المؤهلين من أساتذة التاريخ والدراسات الاجتماعية، وقد لمست آثاره الإيجابية خلال العقد الأخير خاصة.

خامسًا: يسمح نظام الدراسة في المدارس الغربية بتقديم مواد دراسية ذات صبغة دينية يتطوع بتدريسها الآباء وأولياء أمور الطلاب، شريطة الالتزام بعدم ممارسة الدعوة إلى الدين، وهذا مما يعين على

تصحيح المفاهيم أيضًا.

سادسًا: لقد أثرت عوامل متعددة في إقبال الغرب على التعرف على الإسلام من أفواه أبنائه؛ لذا يُرصد إقبالٌ متنامٍ على مراكز تعليم اللغة العربية لغير أهلها، وهذا الإقبال يسجل من المسلمين الجدد وكذا من غير المسلمين؛ ولذا فإن بلادًا كمصر والشام والسودان تشهد حركة نشطة في تعليم العربية لغير أهلها، كما لوحظ أن عددًا من هؤلاء الدارسين يشغلون مناصب مرموقة كعمداء كليات وأساتذة أكاديميين ومثقفين.

سابعًا: إن جنون القوة وغطرستها التي يمارسها الغرب اليوم سيجعل عمر هذه الهيمنة قصيرًا، خصوصًا تلك البلاد التي تساس بعقلية رعاة البقر، والذين يفتقرون إلى تاريخ حضاري يسلِّحهم بدبلوماسية ناجحة، ولا سيما أن هؤلاء لا يشكلون أمة بالمعنى العلمي؛ إذ إنهم خليط متنافر من الأمم والثقافات، وفي العالم حراك سياسي واقتصادي من شأنه أن يقضي على الأحادية العالمية لتتعدد الأقطاب وتتصدر قوى جديدة تعيد التوازن مرة أخرى.

ثامنًا: إن عالمنا الإسلامي اليوم أنضج كثيرًا منه قبل مائة عام، وإن

مقارنة سريعة بين حالة الأمة الراهنة اليوم، والأمة قبل قرن من الزمان تدل دلالة واضحة على أن علامات إيجابية تلوح في الأفق، بحيث لا نجد حرجًا بحمد الله في وصف هذا القرن الحالي بقرن الإسلام، ولقد شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي حركات بعث قوية ترجمت إلى ظواهر علمية وفكرية؛ بل وسياسية، وما خبر ما يسمى بالإسلام السياسي في تركيا والسودان وأفغانستان والجزائر وفلسطين وأخيرًا في الصومال عنا ببعيد، وهي تجارب وإن لم يكتمل بعضها أو انتقد بعضها الآخر إلا أنها تدل على حالة من الوعي والحركة والنشاط لا تشابهه حالة الأمة قبل قرن من الزمان.

كما وأن حركات الجهاد الإسلامي وحروب التحرير في جهات متعددة من عالمنا تدل بوضوح على علاماتِ تَعَافٍ بادية.

وهذا القرن سيشهد -بإذن الله- مزيدًا من إعلان إفلاس المشروع الغربي بحداثته وما بعد حداثته!!، بل إننا نعدُّ من أمارات العافية هذا التوجه المحموم للنيل من الإسلام وحرماته، ولا يكون هذا من منتصر أو غالب، ويقابله هذا الاعتداد المتنامي بالإسلام وقيمه

من شبابه ورجاله ونسائه ولا يكون هذا من فهزم، الأمر الذي سيفضي بإذن الله إلى بعث الحضارة الإسلامية وتقديمها للعالم بأسره وإقامتها على أرض الواقع، لا لتصارع غيرها، وإنما لتتفاعل تفاعلاً صحيحًا مع الآخرين بمختلف أطيافهم الحضارية والدينية.

تاسعًا: ومما يدعو إلى الأمل أن الغرب ليس على درجة واحدة من العداء، وليس على كلمةٍ سواء في العداء، فمنهم من ينصف ويعترف ويقدر الإسلام ورموزه، سواء من دخل منهم في الدين الحق ومن لم يفعل، وهم ينتمون إلى طوائف مهنية متعددة، فمنهم الإعلاميون كروبرت فيسك البريطاني، ومنهم أساتذة الأديان المتخصصون كجون اسبوزيتو، وكارل إيرنست، ومايكل سيلز الأمريكيين، ومنهم رهبان ككارين آرمسترونج البريطانية، بل ومنهم أمراء كالأمير تشارلز الإنجليزي.

كما أن في الغرب رصيد قوي من إخواننا المسلمين من أهل تلك البلاد الغربية، ومن المتوطنين بها ممن هاجر إليها من بلادنا، وهؤلاء رصيد ضخم مبارك.

وأخيرًا: فإن الغالبية الساحقة من أهل تلك الديار ممن لا يعرفون عن الإسلام أو شوهت معارفهم؛ يحتاجون إلى مزيد معرفة وتبصير حتى ينقلبوا منصفين أو محايدين على الأقل، ولا شك أن إدراك الواقع بحقيقته لمما يساعد على تحديد الهدف وإنجاز العمل.

ويبقى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم**﴾[النور: 11]، يدفعنا إلى استلهام الحكم واستجلاء الخطط، وليحدونا الأمل نحو العمل، وعليه فما العمل؟!

المبحث السادس

مـــا العـــــمل ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتعدد تجلياتها وتتنوع مجالاتها، فلا شك أن عملاً ضخمًا يقع على عاتق كل مسلم رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد | نبيًّا ورسولاً.

كما أنه تختلف صورها باختلاف القوى المعادية، ولا شك أن هناك فروقًا بين المشروع الاستعماري الغربي والذي يقوم عليه دهاقنة السياسة والفكر والدين في الغرب، وبين الإنسان الغربي بشكل عام، إذ إن الأول لن يكون إلا عدوًّا جلدًا، وأما الآخر فإن منه من يمكن أن يتحول إلى نصيرٍ وظهير ومتفهم للإسلام وفكرته، بل ومؤمن به وبرسالته إذا بلغته الدعوة على وجهها، وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة.

وأما العلم الغربي فموقفنا منه انتقائي، فمنه ما نحرص عليه ونسعى إلى امتلاك أسبابه، ومنه ما لا حاجة لنا به، بل إن علينا أن نستفيد من هذا العلم بتقنياته في نشر عالمية الإسلام، ومقاومة عولمةٍ تزِّيف الفكَر وتكرِّس هيمنة الغرب، وتنزع سيادة المسلم عن أرضه ووطنه.

أما الخطوة الأولى فهي الوعي بحقائق هذا الواقع وما يتضمنه من فرصٍ ومخاطر، ومن ثم استثمار هذا الوعي الواجب لوضع خطة عمل طموحة، ويمكن أن نقترح من تفاصيلها العملية محاور ثلاثة هي:

المحور الأول: إعادة تشكيل الذهنية الغربية حول الإسلام وثوابته ورموزه.

المحور الثاني: التصدي لحملات الإساءة والتشويه لمقام نبينا | خاصة، وللثوابت الإسلامية عامة.

المحور الثالث: بناء البيت المسلم وتربيته من الداخل، حيث لا نرجو احترامًا لوضعنا العالمي إلا بتحصيل القوة بمختلف صورها.

وفيما يلي مقترحات عملية حول كل محور من المحاور السابقة.

مقترحات حول المحور الأول:

1- العناية بإنتاج الكتب والأدبيات الإسلامية باللغات الحية، ويتأتى هذا عن طريق إنشاء مراكز بحثية عالمية تعنى بإنتاج الكتاب الإسلامي المعاصر بعدة لغات، سواء ما يصلح للتدريس في المقررات الدراسية أو الجامعات، أو ما يطرح للمثقفين والأدباء، وفق معايير عالية الجودة.

2- إنشاء مراكز للترجمة الواعية وفق ضوابط تراعي السياقات الزمنية والحضارية للمراجع الإسلامية الأصيلة في القرآن الكريم وعلومه، والحديث وأصوله، والسيرة والتاريخ والحضارة الإسلامية.

3- توجيه الباحثين وطلبة العلم الذين يجيدون اللغات الغربية للإسهام بالتدريس في فصول دراسية بالجامعات الغربية، ومراسلة هذه الجامعات في ذلك كنوع من أنواع المشاركة في تحسين الصورة الإسلامية لدى الأوساط الأكاديمية.

4- التوجه إلى إعداد مكتبات إسلامية رصينة ومتكاملة وإهدائها إلى مكتبات الجامعات الغربية المعتنية بتدريس الإسلاميات؛ الأمر الذي يؤدي إلى اطراد التحسن في تناول وعرض الإسلام، وإضعاف فكرة صراع الحضارات التي يتزعمها بعض غلاة المحافظين الجدد.

5- متابعة المؤتمرات العلمية الغربية والتي تعنى بالشأن الإسلامي والعربي والشرق أوسطي، والعناية بحضورها بتمثيل واع، حتى تتأتى المشاركة والتفاعل الإيجابي، وعدم مقاطعتها، حتى تلك التي تدعو إلى حوار بين الأديان، ما لم تتضمن دعوة للتنصير أو خلط للأديان.

6- تشجيع ودعم مراكز تعليم اللغة العربية للأجانب سواء ما أنشئ منها في الشرق أو افتتاح عدد منها في الغرب؛ ليتمكن الغربي بنفسه وبلا وسائط من التعرف على الإسلام من مصادره الأولى، ويمكن دعم تقديم منح للأكاديميين والمثقفين الغربيين في هذا الصدد للدراسة في الشرق، وهو دور ستحمد عاقبته بإذن الله تعالى.

7- التعاون مع المنصفين والتواصل مع المعتدلين في المجتمعات الغربية، وذلك بإنشاء روابط وجمعيات وفعاليات للحوار والدعم الفكري، وطباعة كتب الغربيين أنفسهم والتي تنطق بالحجة الصحيحة.

8- الإعلان للأكاديميين الغربيين عن جوائز سنوية قيمة في البحوث والدراسات الإسلامية المتميزة باللغات الحية، وتحديد المحاور التي وقع فيها الخلط المتعمد أو الجهل بحقائق الإسلام وقضاياه الكبرى لتكون محور هذه البحوث.

9- إنشاء ودعم عدد من الكراسي الأكاديمية في عدد من الجامعات الغربية العريقة حول الإسلاميات.

10- التوسع في إنشاء القنوات الفضائية المتخصصة في مخاطبة رجل الشارع الغربي بلغته والنفوذ إلى عقله ووجدانه،

وتعريفه بالإسلام وأصوله، والنبي ﷺ وسيرته.

مقترحات حول المحور الثاني:

1- إنشاء منظمات ومؤسسات عالمية للدفاع عن أنبياء الله قاطبة، والتعاون في هذا الصدد مع عقلاء المخالفين في أصل الدين، ومخاطبة الحكومات والسياسيين ومختلف الهيئات والجهات المعنية بهذا الصدد.

2- تبني الرد المباشر والمناظرة العلنية والحوار المفتوح مع من تقع منه الإساءة، وتعريته وفضح أصوله الفكرية والسياسية المتطرفة.

3- استخدام كل جهد دبلوماسي متاح للذود عن حرمات الإسلام وتعظيم مقدساته، والدعوة إلى الاجتماعات الطارئة على مستوى التمثيل الدبلوماسي الإسلامي لمناقشة ما ينزل ويستجد.

4- تنظيم الحملات الإعلامية المضادة، في مختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وإطلاق عدة مواقع الكترونية للرد بمختلف اللغات، وتخصيص المصطفى ﷺ بنصيب مستقل في ذلك.

5- اعتماد أساليب المقاطعة بمختلف صورها الاقتصادية

والثقافية مع من يثبت في حقه تعمد الإساءة، وتتكرر منه الإهانة للإسلام وأهله.

6- مد جسور التواصل مع المنصفين الغربيين لعقد حوارات وندوات مشتركة في الرد على المعتدين، ونشر تلك الندوات بأشكال متعددة.

7- إنشاء عدد من المؤسسات الإعلامية العالمية لتتبنى المنافحة عن القضايا والمسائل الإسلامية المثارة في الإعلام الغربي.

مقترحات حول المحور الثالث:

1- العمل الجاد والسعي الدؤوب بمختلف السبل إلى تطبيق شريعة الله عز وجل نصًّا وروحًا، ودعوة الحكومات وولاة الأمر في بلاد المسلمين قاطبة للتمسك بأهداب الشرع المطهر.

2- تقوية دور العلماء وهيئات الأمر بالمعروف والاحتساب، وتشكيل لجان وروابط دولية للعلماء، متحررة من الإقليمية والضغوط الحزبية والسياسية على حد سواء.

3- إنشاء عدد من المؤسسات الإعلامية والدعوية الخيرية والتي تتبنى تنسيق جهود الدعاة ودعمهم حول العالم علميا وإعلاميا.

4- العناية بشأن تصحيح العقيدة واعتمادها كأولوية أولى في

برامج الإصلاح لدى الدعاة بمختلف طوائفهم وأطيافهم.

5- توجيه جهود الدعاة إلى تربية الأمة على حماية مقدساتها، والغيرة على عقيدتها، وحياطة شريعتها، والإيجابية في التصدي لأعدائها، وإشاعة الوعي الفكري والثقافي والسياسي بين صفوفها.

6- الأخذ على أيدي العلمانيين والمتغربين فكريًّا، ومنعهم من تمثيل الأمة أو التحدث باسمها أو تشكيل صورتها لدى الغرب، وردع أولئك المتجرئين على ثوابتها بكل الوسائل الشرعية المتاحة.

7- السعي إلى ترشيد الحركات الجهادية الصحيحة ومناصحتها والأخذ على أيدي المتعجلين، والحرص على استيفاء شرعية هذه الأعمال، وعدم الإضرار بالأمة، وحسن ترتيب الأولويات، وتحقيق مصلحة إعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين، وكف بأس الكافرين.

8- الحرص على الشمول والتجديد في الخطاب الدعوي لتشمل أمتي الدعوة والإجابة، والعناية بالوحدة والائتلاف، وتحري العدل والإنصاف عند الخلاف،

ومراعاة حال الأمة، وتقديم النظر لها على تحقيق مصلحة حزبية أو منفعة شخصية.

9- التوجيه للخروج من التبعية الغربية في التقنية والتصنيع، والاقتصاد والتجارة، وتعظيم قيمة التحرر من أسر التبعية الغربية في مختلف المجالات، والاستفادة من الجانب النافع المفيد من العولمة، وتوقي الضار منها.

10- الاهتمام بالجوانب السلوكية والحضارية لدى الأمة أفرادًا وجماعات، والدعوة إلى تلك القيم الإسلامية العليا، والحرص على تقديم صور حضارية مشرفة للمجتمعات المسلمة في عباداتها كالحج والمشاهد العامة.

الخاتمــة

تناول البحث ظاهرة التطاول على حرمات الإسلام وثوابته والتي تنامت بشكل لافت للنظر في السنوات الأخيرة.

واستعرض البحث صورة الإسلام في الفكر الغربي القديم والحديث؛ حيث رصدت تصريحات ومواقف عدائية غلبت على الفكر الغربي قديمًا وحديثًا، وانحياز ضد الإسلام من قبل ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة، وإن لم يمنع هذا من وجود أصوات منصفة هنا وهناك قديمًا وحديثًا.

وفي حين كانت المناهج الدراسية القديمة تتجاهل الإسلام أو تَصِمُه بالبهتان، فإن المناهج الحديثة قد تخلصت من رواسب حركتي الاستشراق والتنصير وبدت أكثر اعتدالاً، مما يبشر بتغير إيجابي تُلمس آثاره واضحة عن قريب.

ولقد تشوهت صورة النبي ﷺ في التراث الغربي بشكل ظاهر وقبل الحروب الصليبية، وإن كانت حقبة القرون الوسطى وما بعدها كتب فيها أسوأ البهتان والافتراء، الأمر الذي دعا بعض المنصفين أن يرد على ذلك بشكل فردي.

وترجع أسباب هذا التطاول إلى أسباب دينية، وأخرى فكرية ثقافية، وثالثة تاريخية ونفسية، كما أن من الأسباب ما

يرجع إلى اتهام المسلمين أنفسهم بالتقصير في البيان والرد.

ومع كل هذا الركام فإنه يتبين ما يدعو للتفاؤل بالتحول التدريجي نحو الموضوعية، بطروء تحسن ملحوظ على المقررات الدراسية والجامعية في الدراسات الإسلامية، وبظهور إفلاس الحضارة الغربية، وتنامي النضج والوعي الإسلامي، وتزايد عدد المنصفين الغربيين، ويتعين العمل على إعادة تشكيل العقل الغربي حول الإسلام وثوابته، والتصدي المباشر لحملات الإساءة والتشويه بمختلف الوسائل، وأخيرًا العناية بالداخل الإسلامي وتقويته وإنهاضه، وذلك كله عبر وسائل عملية عصرية وفعَّالة.

دكتور
محمد يسري
رئيس الشئون الأكاديمية
بالجامعة الأمريكية المفتوحة
القاهرة 1428**هـ**- 2007**م**

فهرس الكتاب

المبحث الأول: صورة الإسلام في الفكر الغربي قديمًا وحديثًا 11

المبحث الثاني: موقف مناهج التعليم الغربية من الإسلام 27

المبحث الثالث: صورة النبي ﷺ في التراث الغربي 43

المبحث الرابع: أسباب التطاول على دين الإسلام وخير الأنام ﷺ 51

المبحث الخامس: استشراف المستقبل 69

المبحث السادس: ما العمل؟ 75

الخاتمة 83

فهرس الكتاب 85